Al-Daleel
موسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

Sources of the Quran According to Orientalists: A review and critique

Ibrahim Anghom

PhD in Quranic Sciences (Comparative Exegesis), Al-Mustafa International University, Senegal.
E-mail: khalil87414@gmail.com

Abstract

The topic of the sources of the Quran – which is strongly related to contemporary theology – is something that orientalists frequently research about in their Islamic and Quranic studies, due to its extreme importance and sensitivity. In their studies they have come up with results that are opposite to what the Muslims believe, as they claim that the holy Quran has sources other than Divine revelation, although they have different views in defining it. This paper aims at studying this topic through reviewing their views and arguments, and then scientifically critiquing them appropriately, proving the falsity of their claims in this field. This study is important due to them proving the non-revelation source of the Quran and its origin not being divine, ultimately meaning that it has no validity and cannot be used to prove the prophecy of the Prophet of Islam (s.a.w.), leading to dismissing Islam itself. The opposite for this is also correct, in that proving its divinity proves Islam and everything else.

Keywords: Quran, Sources of Quran, Orientalists, Revelation of the Quran

----

Al-Daleel, 2022, Vol. 5, No. 2, PP.23-46

Received: 5/6/2022; Accepted: 4/7/2022

Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

©the author(s)

CC BY NC

Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

مصادر القرآن عند المستشرقين.. عرض ونقد

إبراهيم إنغوم

دكتوراه علوم القرآن والتفسير المقارن، جامعة المصطفى العالمية، السنغال، البريد الإلكتروني: khalil87414@gmail.com

الخلاصة

تعدّ مسألة مصادر القرآن ـ التي لها علاقة وثيقة بالكلام الجديد ـ من الموضوعات التي تطرّق لها المستشرقون كثيرًا في دراساتهم الإسلامية والقرآنية؛ لما لها من أهمّيّة وحسّاسية بالغتين، وقد توصّلوا في دراساتهم إلى نتائج مخالفة لما تعارف عليه المسلمون؛ إذ زعموا أنّ للقرآن الكريم مصادر أخرى غير الوحي الإلهي، وإن اختلفوا في تحديدها إلى آراء عدّة. ويهدف هذا البحث إلى دراسة هذا الموضوع من خلال عرض ما ذهبوا إليه من آراء وأدلّة ونقدها علميًّا بما يتناسب والبحث، وإثبات بطلان ادّعاءاتهم في هذا المجال. تكمن أهمّيّة البحث في أنّ ثبوت عدم وحيانيّة القرآن الكريم وعدم إلهيّة مصدره، يعني عدم حجّيّته وعجزه عن إثبات نبوّة نبيّ الإسلام ﷺ، وبالتالي ينتفي أصل الإسلام، والعكس كذلك صحيح.

الكلمات المفتاحية: القرآن، مصادر القرآن، المستشرقون، وحيانية القرآن.

____

مجلة الدليل، 2022، السنة الخامسة، العدد الثاني، ص. 24ـ46

استلام: 2022/6/5 ، القبول: 2022/7/4

الناشر: مؤسسة الدليل للدراست والبحوث العقديّة

© المؤلف

CC BY NC

المقدمة

لقد اهتمّ المستشرقون منذ قديم الزمن بالدراسات الإسلامية بشكل عام، وبالقرآنية بشكل خاص، وبذلوا في ذلك جهودًا لا يمكن إنكارها بحال من الأحوال.

فكان بعضهم منصفين نوعًا ما في دراساتهم، ملتزمين بالمنهج العلمي وموضوعيين وإن أخطؤوا في كثير من الأحيان. وإلى جانب هؤلاء المنصفين جماعة ـ وهم الأكثر ـ لم يكن همّهم البحث العلمي والوصول إلى الحقّ والحقيقة، بل دفعتهم إلى دراسة الشرق مصالح ودوافع أخرى تبشيرية واستعمارية وعقدية غيرها، ممّا يُفقد الباحث غالبًا الموضوعية والحيادية.

وانطلاقًا من تلك الدوافع، قاموا بالطعن في القرآن الكريم على وجه الخصوص وتشويهه؛ بغية التشكيك في الكتاب الذي يعدّ المصدر الأوّل والأساسي للمسلمين.

وقد سلكوا في سبيل إثبات مزاعمهم شتّى الطرق، فيدّعون وجود التناقض في القرآن تارةً، وأنّه يحارب العلم تارةً أخرى، وأنّه ليس كتابًا إلهيًّا إنّما هو مجموعة من آراء وأفكار وتقاليد جاهليّة، أو تعليمات اقتبست واستلّت من هنا وهناك تارةً ثالثةً، وغير ذلك من آراء وشبهات لا تصمد أمام البحث العلمي.

من هنا قام جمعٌ من الباحثين الإسلاميين وغير الإسلاميين بالردّ عليهم، مستدلّين على بطلان دعاويهم بالعقل والنقل، وأبلوا بذلك بلاءً حسنًا، وما هذه السطور إلّا مساهمة متواضعة في هذا السياق، وإن كان الفضل للمتقدّم.

بحوث تمهيدية

قبل الخوض في البحث نرى ضرورة استعراض بعض البحوث التي لها علاقة بالموضوع حيث يمثّل مدخلًا وتمهيدًا له، وهي كالتالي.

أوّلًا: تعريفات

1ـ المصادر لغةً واصطلاحًا

أ ـ المصادر في اللغة: جمع لمصدر، وهو من الصدر: الذي يأتي بمعنى أوّل الشيء أو أعلى مقدّم كلّ شيء حسب ما أضيف إليه، والمصدر: أصل الكلمة التي تصدر عنها. [انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج 12، ص 94 و95]

ب ـ المصادر اصطلاحًا: بعد مراجعة تعريفات عدّة لهذا المصطلح، يمكن تعريفه فيما نحن فيه

بـالمنبع الأصلي الذي أخذ منه غيره واستفاد، سواء كان ذلك باقتباس النصوص أو الأفكار أو غيرها من أنحاء الاستفادة.

2ـ القرآن لغةً واصطلاحًا

أـ القرآن لغةً: قال في الصحاح: «قَرَأْتُ الشيء قرآنًا: جمعتُه وضممتُ بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرَأتْ هذه الناقةُ سَلًى قَطّ ... وقرأت الكتاب قراءةً وقرآنًا، ومنه سُمِّيَ القرآن» [الجوهري، الصحاح، ج 1، ص 65].

بـ القرآن اصطلاحًا: عرّفه أهل الفنّ بتعريفات مختلفة، منها: «القرآن الكريم هو الكلام المعجز المنزل وحيًا على النبيّ ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبّد بتلاوته» [الحكيم، علوم القرآن، ص 17].

3ـ المستشرقون لغةً واصطلاحًا

أـ المستشرقون في اللغة: يقال: شَرَّقوا، أي ذهبوا إلى الشَّرْق أَو أتوا الشرق. وكلّ ما طلع من المشرق فقد شَرَّق. [انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 174]. وأمّا لفظة المستشرِق، فهي كما قيل: لفظة مولّدة من لفظة (استشرق) المأخوذة من مادّة (شرق) ... استعملها المحدثون ترجمة لكلمة (Orientalism). [انظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره.. دراسة ونقد، ج 1، ص 23]

بـ المستشرقون اصطلاحًا: اختلف في تعريفه تبعًا لاختلافهم في تحديد مفهوم الاستشراق، فقد قيل: «أمّا المستشرق فهو ذلك الغربي الذي يدرس تراث الشّرق وكلّ ما يتعلّق به وبعلومه، والدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته» [قدور تاج، الاستشراق.. ماهيته، فلسفته ومناهجه، ص 17]. وقيل غير ذلك. ونظرًا إلى مجموعة من التعريفات يمكن القول بإيجاز: إنّ المستشرق هو ذلك العالم الغربي الذي يقوم بدراسات وبحوث مختلفة بغية الوقوف على الحضارة الشرقية والإسلامية وآدابها وديانتها بدوافع متنوعة.

ثانيًا: نشأة الاستشراق

من الصعب بمكان تحديد تاريخ نشأة الاستشراق؛ لما يكتنف هذا المصطلح من غموض وتطوّرات ودوافع؛ لذلك اختلفت كلمات الباحثين، فمنهم من أرجعه إلى القرن العاشر الميلادي، قال أحمد محمّد جمال: «فالاستشراق ظاهرة قديمة، بدأت منذ القرن العاشر الميلادي وكان من بواعثها العداء الذي

أحدثه الصراع الصليبي بين الفرنجة والمسلمين، وما سبق الحروب الصليبيّة من الفتوح الإسلاميّة، التي كان من آثارها دخول كثير من الممالك المسيحية في الدين الإسلامي كمصر وسوريا وشمال أفريقيا والأندلس. كما كان من بواعث العداء الصليبيّ للإسلام: أنّه ينكر عقيدة التثليث والصلب والفداء، التي هي أساس المسيحية وعمادها» [أحمد محمد جمال، مفتريات على الإسلام، ص 10]. ومنهم من أرجعها إلى القرن الثاني عشر مستدلين على ذلك بظهور أول نتاج استشراقي تمثّل في أول ترجمة لمعاني القرآن. [انظر: الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص 24]

بينما رجّح رضوان كونَ بدايته في القرن السادس عشر الميلادي بقوله: «وإن كان قول من أرجعه للقرن السادس عشر الميلادي أكثر وضوحًا» [آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره.. دراسة ونقد، ج 1، ص 23]، إلى غير ذلك من آراء[1]. وعلى كلٍّ يرى بعضهم أنّ كلمة "مستشرق" ظهرت في اللغة الإنجليزية حوالي عام 1779 م، ودخلت كلمة "الاستشراق" على معجم الأكاديمية الفرنسية في 1838 م. [انظر: سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 24] وهذا لا يعني بالضرورة رجوع بدايات عملية الاستشراق إلى هذا التاريخ طبعًا.

ثالثًا: سبب تركيز المستشرقين على القرآن

هناك أسباب كثيرة أدّت إلى اهتمام المستشرقين بالدراسات القرآنية، وهي مختلفة تبعًا لدوافعهم والخلفيات التي انطلقوا منها، إلّا أنّ أهمّ الأسباب وراء اهتمامهم بالدراسات القرآنية ـ من وجهة نظري ـ هو محاولة الطعن في القرآن، لتسريب الشكّ في نفوس المؤمنين به من جهة، ولحماية معتقداتهم من خطر الإسلام من جهة أخرى؛ ذلك أنّ الإسلام والقرآن خالفا كثيرًا من مسلّماتهم وكشف عن تعاملهم السيّئ مع الكتاب المقدّس، ولا سيّما أنّ كثيرًا من المستشرقين كان لهم ارتباط وعلاقة وثيقة بالكنيسة، وقد ذكر السباعي أنّ الراهب الفرنسي جربرت[2] (Jerbert) الذي انتخب بابا

1ـ نقل سمايلوفيش عن الباحثين العرب والغرب أكثر من أحد عشر رأيًا في هذا الصدد، وللوقوف على تفاصيل أكثر راجع كتاب: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 54 ـ 60.

2ـ هو البابا الفرنسي رقم 146، وأول بابا فرنسي يخلف أول بابا ألماني، والبابا الوحيد الذي تعلم العربية وأتقن العلوم عند العرب وعلى أيدي العرب في إسبانيا. وانتخب بابا كنيسة روما الكاثوليكية في 2 نيسان سنة 999 م، وتوفي في 12 مايس 1003 م. ومن آثاره رسائله، وعددها 149 رسالة، وتمثّل وثائق تاريخية مهمّةً نظرًا لارتباطها بأحداث عصرها السياسية الخطيرة. [انظر: عبد الرحمن بدري، موسوعة المستشرقين، ص 178 و179]

في روما سنة 999 م، وبطرس المحترم[1] (Pierrele Aenere)، وجيراردي كريمون[2] (Gerard de Gremone) كانوا من أوائل الرهبان الغربيّين الذين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقّفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربيّة إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصّة في الفلسفة والطبّ والرياضيات، ثمّ عادوا إلى بلادهم ونشروا ثقافة العرب ومؤلّفات أشهر علمائهم، ثمّ أسّست المعاهد للدراسات العربية. [انظر: السباعي، الاستشراق والمستشرقون.. ما لهم وما عليهم، ص 19]

وبالتالي ليس من المستبعد أن تشوب هذه الحركة دوافع تبشيرية وتخريبية.

بينما يعتقد المسلمون على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم بوحيانية القرآن الكريم وإلهية مصدره، يذهب أغلب المستشرقين مذهبًا آخر، حيث ادّعوا تعدّد مصادر القرآن وتنوّعها، وافترضوا في المقام عدّة مصادر يمكن إرجاعها إلى مجموعتين أساسيّتين، وهما: مصادر خارجية ومصادر داخلية.

1ـ المصادر الخارجية للقرآن

يرى جملة من المستشرقين أنّ القرآن الكريم ليس وحيًا إلهيًّا كما يرى المسلمون، وإنّما هو مجموعة من قصص وأساطير ومعلومات تعلّمها محمّد ﷺ من هنا وهناك. ورغم اتّفاقهم على تعدّد مصادر القرآن وعدم ارتباطها بالسماء، فقد اختلفوا في تحديد هذه المصادر إلى آراء عديدة منها:

أـ البيئة الجاهلية الحاضنة

يدّعي أصحاب هذا الرأي بأنّ النبيّ ﷺ كان يطمع في الزعامة والسيادة الدنيويّة، وقد لاحظ في نفسه وذاته استعداداتٍ لذلك بعد ما عاشه في مجتمعه من ظلم اجتماعي، فاستغلّ هذه الفرصة ليدّعي بعد ذلك الاتّصال بما وراء الطبيعة علمًا بمكانة الدين والمقدّسات في ذلك المجتمع.

1ـ راهب ولاهوتي فرنسي، ولد حوالي سنة 1092 م في أوفرن (Auvergne) وسط فرنسا، وتوفّي في 25 كانون الأول 1156 م. [انظر: المصدر السابق، ص 110 و111]

2ـ إيطالي من الرهبانية البندكتية، تضلّع في العربية، وعكف على مصنّفاتها، فترجم منها ما لا يقلّ عن 87 مصنّفًا في الفلسفة والطبّ والرياضيات والفلك وضرب الرمل فقدت معظم أصولها العربية، وسلمت ترجماتها اللاتينية، فمهّدت مع مثيلاتها إلى انتشار العلوم في أوربا وتوثيق صلتها بالشرق، وقد توفّي في طيطلة. ومن آثاره "إحصاء العلوم للفارابي" وغيرها الكثير في الطبّ والفلسفة والمنطق والفلك والرياضيات. [انظر: العقيقي، المستشرقون، ج 1، ص 115 و116]

زعم المستشرق جب[1] (Hamilton Gibb): أنّ مكّة كانت فيها حياة زاخرة بالتجارة والسياسة والدين، وأنّه وجدت فيها زعامة وزعماء، وأنّه وجد ظلم اجتماعي بين سكّانها وانطبعت كلّ هذه الجوانب في نفس محمّد ﷺ، وكان على وعي تامّ بها، وترى آثارها في حياته: في القرآن وفي كفاحه إلى أن مات!

كما يرى أنّ ثورة الرسول النفسية لم تبرز في صورة إصلاح اجتماعي، ولم يقم بها على أنّه مصلح للحياة المكّيّة الاجتماعية، وإنّما برزت في صورة دينية، وفي صورة أنّه رسول؛ وذلك لأنّه أراد أن يبدّل قيم المقدّسات الدينية بمكّة من الشرك إلى التوحيد، ومعارضة المكّيّين إيّاه ـ لذلك ـ كانت معارضةً في الزعامة السياسية وخشيةً على ازدهار الاقتصاد من أن يضعف لو قبلوا دعوته، ولم تكن معارضتهم إيّاه بسبب العقيدة والإيمان! وإلّا فالقرآن نفسه يدلّ على أنّ فكرة الوحدانية ـ وهي الفكرة الأساسية في الإسلام ـ كانت معروفةً في غرب الجزيرة العربية. [انظر: البهي، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، ص 179 و180]

ويقول نولدكه[2] (Theodor Nöldeke) في هذا السياق: «أحد أهمّ مصادر تعاليم محمّد كانت الاعتقادات الدينية التي اعتنقها قومه. وما من مصلح يمكنه أن يتنصّل تمامًا من المعتقدات التي تربّى عليها. وهكذا بقي لدى مؤسّس الإسلام بعضٌ من الأساطير القديمة (مثلا حول الجنّ) وبعض الآراء الدينيّة التي كانت سائدةً في زمن الجاهلية» [نولدكه، تاريخ القرآن، ص 18].

ولإثبات الادّعاء صوّر رينان[3] (Ernest Renan) المجتمع المعاصر للنبيّ ﷺ كأنّه لم يعرف قطّ

1ـ مستشرق إنجليزي، ولد في مدينة الإسكندرية بمصر في 2 كانون الثاني 1895 م، وتوفي في 22 تشرين الأول 1971 م في أكسفورد، وفي عام 1912 م دخل جامعة أدنبره، حيث تخصّص في اللغات السامية: العربية، والعبرية، والآرامية، وفي عام 1922 م وكان أول إنتاجه كتاب عن "فتوح العرب في آسيا الوسطى". [انظر: موسوعة المستشرقين، ص 174]

2 شيخ المستشرقين الألمان، كان له اطلاع واسع على الآداب اليونانية، وكان متقنًا لثلاثٍ من اللغات السامية، وهي: العربية والسريانية والعبرية. كما تعلّم اللغة الآرامية الخاصّة بالكتاب المقدس، واللغتين الفارسية والتركية أيضًا. ولد في الثاني من آذار عام 1836 م بمدينة هاربوج (Harburg)، وحصل على الدكتوراه في عام 1856 م برسالة عن "تاريخ القرآن"، وهو الموضوع الذي خصّه بدراسة عميقة بعد عامين من التاريخ المذكور. توفّي نولدكه في 25 كانون الأول عام 1930. [انظر: موسوعة المستشرقين، ص 595 ـ 598]

3ـ مستشرق ومفكر فرنسي، عني خصوصًا بتاريخ المسيحية وتاريخ شعب إسرائيل. كان متقنًا للّغة العبرية وضعيفًا في اللغة العربية، ومع ذلك تكشف مقالاته المتعدّدة عن اطّلاعه الواسع على التراث العربي. [انظر: موسوعة المستشرقين، ص 311 ـ 320]

الخرافات كما عرفتها المجتمعات الأخرى، بل كان مجتمعًا موحّدًا يعبد الله الواحد، ثمّ إنّه كان يصدر عن عقيدة التوحيد في كلّ تصرّفاته وأخلاقه، وعليه فلم يأت النبيّ بجديد لمجتمعه، بل كان كلّ ما جاء به منتزعًا منه ومنبثقًا من قراراته. [انظر: فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص 196]

وذهب إلى هذا الرأي أيضًا تيسدل (William St. Clair Tisdall) حيث رفض أن يكون الاعتراف بوحدانية الله بين العرب ولأوّل مرّة عن طريق النبيّ ﷺ، مستدلًّا عليه بأنّ كلمة (الله) المتضمنّة لأداة التعريف كانت معروفةً ومستخدمةً بين العرب، ممّا يدلّ على أنّ مستخدميها كانوا على شيءٍ من الوعي بوحدانيّة الله، ووجود أسماء من قبيل "عبد الله" و"بيت الله"، وبوجود التشابه بين كثير ممّا جاء في القرآن وما كان سائدًا في الجزيرة العربية، من قبيل تقديس الحجر الأسود والكعبة وغيرهما. [انظر: تسدل، المصادر الأصلية للقرآن، ص 29 ـ 40]

النقد

إنّ محاولة الربط بين الحقائق القرآنية وبين الممارسات السائدة في تلك البيئة الوثنية الجاهلية، وبالتالي جعلها مصدرًا من مصادر القرآن تبدو خطوةً غير موفّقة، وذلك:

1ـ لا دليل على كون محمّد ﷺ كان راغبًا في الزعامة والرئاسة حتّى يكون ذلك دافعًا له إلى ادّعاء النبوّة، بل التاريخ يشهد خلاف ذلك، حيث عرضوا عليه المال والملك بل الدنيا وزينتها مقابل أن يترك الدعوة إلى التوحيد فأبى ذلك قائلًا: «يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته» [ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 63].

ثمّ إنّه لو لم تكن معارضتهم إيّاه بسبب العقيدة والإيمان، وكانت بسبب الحفاظ على مصالحهم الاقتصاديّة دون العقيدة والإيمان كما يدّعي الرجل، لكان الأجدر بالرسول أن يقبل اقتراحهم ويرتاح منهم بدل الانشغال بحروب طاحنة لما يقارب عشرين عامًا تحصيلًا للحاصل. وخاصّةً أنّه لم تكن لديه قدرة عسكرية قادرة على مجابهة قريش آنذاك.

2ـ أنّ القول بأنّ فكرة الوحدانية ـ كما طرحها القرآن ـ كانت معروفةً في الجزيرة العربية، يتنافى تمامًا مع ظاهرة شيوع الأصنام فيها، حيث بلغ عدد الأصنام حول الكعبة فقط يوم فتح مكّة ثلاثمئة وستّين صنمًا [1]، فكيف تنسجم هذه الظاهرة مع فكرة الوحدانية؟! ولو كان الأمر كما يقول جب ومن حذا حذوه من كون تلك البيئة مصدرًا للقرآن، فكيف يتعجّب أهل مكّة ممّا دعا إليه النبيّ قائلين:

1ـ للوقوف على تفاصيل القصّة انظر: الفاسي المكي، الزهور المقتطفة من تاريخ مكّة المشرّفة، ص 340.

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [سورة ص: 5]؟! حقًّا إنّ قول المستشرقين لشيء عجاب!

3ـ أنّ العرب وإن كانوا موحّدين في الخالقية بالفطرة والوجدان بدليل قوله تعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَ اللهُ﴾** [سورة لقمان: 25]، وقوله: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَ اللهُ﴾** [سورة الزخرف: 87]. لكنّهم كانوا مشركين في التدبير والعبادة [انظر: السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل، ج 2، ص 59]، وهذه الحالة تتنافى تمامًا وفكرة اقتباس القرآن من البيئة الجاهلية والوثنية.

4ـ أنّ الاستدلال باستخدام العرب لكلمة (الله) أو تضمّن بعض أسمائهم لها، على كون فكرة الوحدانية معروفة بينهم استدلال غريب؛ إذ غاية ما يمكن إثباته هو مجرّد وجود موحّدين في الجزيرة العربيّة وقتئذٍ، لا كونهم الأكثرية والغالبية الساحقة فيها كي يدّعى بعد ذلك صلاحيّتها للمصدريّة وتأثّر القرآن بها، فالدليل هنا أخصّ من المدّعى.

5ـ ثمّ إنّ التّشابه المذكور ليس إلّا مجرّد تشابه صوريّ لا غير، فشتّان ما بين الطواف بالبيت عريانًا كما كان في الجاهلية وبين الطواف في الإسلام، وأين السعي بين الصفا والمروة امتثالًا لأمر الله الواحد، من السعي بينهما إيمانا بإساف ونائلة[1]؟!

6ـ هناك عادات وثقافات جاهلية قديمة قام القرآن الكريم باستئصالها، وهي كثيرة منها على سبيل المثال: معاملتهم للمرأة وإهانتهم لكرامتها. وقد أثبت القرآن للمرأة كرامتها الإنسانية، حيث وضعها في المستوى الرفيع الموازي لمستوى الرجل في المجال الإنساني الكريم، بعد أن كانت في كلّ الأوساط المتحضّرة والجاهلية مهانةً وضيعة القدر، لا شأن لها في الحياة سوى كونها لعبة الرجل وبلغته في الحياة. وقال: **﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾** [سورة النساء: 32]، وقال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾** [سورة الحجرات: 13] وغيرها من الآيات القرآنيّة[2]، فهل يعقل بعد هذا كلّه أن تكون تلك البيئة الجاهلية البائدة مصدّرةً للقرآن؟!

1ـ إساف ونائلة: اسمان لإنسانين ـ رجل وامرأة ـ عملا عملًا قبيحًا في الكعبة فمُسخا حجرين كما يقال، وضعا عند الكعبة ليتّعظ الناس بهما. فلما طال مكثهما، عُبدا مع بقيّة الأصنام، فكان إساف بالصفا ونائلة بالمروة. [انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 11، ص 266 و380]

2ـ للوقوف على تفاصيل أكثر انظر: معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج 7، ص 134 فما بعد.

ب ـ اليهودية والمسيحية

زعم بعض المستشرقين أنّ اليهودية والمسيحية هما المصدران الأساسيان للقرآن، وأنّ محمّدًا ﷺ استلّ القرآن من التوراة والإنجيل أو من معتقدات اليهود والمسيحيين بشكل عامّ. وقد استُند في ذلك إلى التشابه الملحوظ بين هاتين الديانتين وبين ما جاء به محمّد ﷺ خاصّةً في مجال القصص والتشريعات.

يقول المستشرق اليهودي جولدزيهر[1] (Ignaz Goldziher) وهو في صدد التشكيك في وحيانيّة القرآن: «الآية 54 من سورة البقرة: يدور الحديث حول غضب موسى حين علم بصنع بني إسرائيل عجلًا من ذهب وعبادتهم إيّاه؛ فهو يقول: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾. أي فليقتل بعضكم بعضًا، أو بالمعنى الحرفي للنصّ: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم، وهذا ينطبق في الواقع على ما جاء في سفر الخروج الإصحاح 32 الآية 27، الذي هو مصدر الكلمات القرآنيّة» [جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص 10].

كما قال في كتاب آخر له: «فتبشير النبيّ العربي ليس إلّا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينيّة، عرفها أو استقاها بسبب اتّصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثّر بها تأثّرًا عميقًا، والتي رآها جديرةً بأن توقظ عاطفةً دينيةً حقيقيةً عند بني وطنه، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضروريةً لتثبيت ضرب من الحياة في الاتّجاه الذي تريده الإرادة الإلهية.

لقد تأثّر بهذه الأفكار تأثّرًا وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوّتها التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدةً انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيًا إلهيًّا، فأصبح ـ بإخلاص ـ على يقين بأنّه أداة لهذا الوحي» [جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 12].

وقد سبقه في ذلك أبراهام غايغر (Abraham Geiger)[2] حيث يقول: «لا يكفي أن نقدّم ملخّصًا

1ـ كان ميلاده في 22 من شهر حزيران سنة 1850 م بمدينة أشتولويسنبرج من بلاد المجر، من أسرة يهودية، حصل على الدكتوراه عام 1870 م، توفّي عام 1921 م. [انظر: موسوعة المستشرقين: 197 ـ 203]

2 هو حبر يهودي ألماني، تناول بالدراسات التشابه بين القرآن وبين الكتب المقدسة عند اليهود. ولد في فرنكفورت سنة 1810 م. وشرع في تعلّم العلوم الدينية اليهودية، ثمّ أخذ في تعلّم اللغة العربية واليونانية أوّلًا في هيدلبرج سنة 1929 م في جامعة بون (Bonn). وعندما أنشئت في برلين المدرسة العليا لعلوم اليهودية سنة 1872 م صار جيجر مديرًا لها حتّى توفّي سنة 1874 م. له كتب أهمّها كتاب "ماذا أخذ محمد من اليهودية" والذي ترجم إلى العربية تحت عنوان "اليهودية والإسلام". [انظر: موسوعة المستشرقين: 222]

هزيلًا جافًّا عن المقاطع التي تبدو على صلة ما باليهودية، من أجل إظهار أنّ محمّدًا كان حقًّا يملك معرفةً بها، وقد استخدمها في تأسيس دينه الجديد، وأنّه علاوة على ما سبق فإنّ مقارنته مع المصادر اليهودية تجعل العديد من المقاطع واضحةً في القرآن. إنّ مهمّتنا بالأحرى هي أن نثبت أنّه كم كانت مرتبطةً روح محمّدٍ ونضاله وأهدافه، مع عقل زمانه ودستور محيطه، ومن ثمّ إثبات حقيقة أنّه حتّى إذا كنّا حُرمنا من جميع البراهين التي تظهر على نحوٍ لا يمكن إنكاره أنّ اليهوديّة مصدر للقرآن، فإنّ التخمين بأنّ استعارةً من اليهوديّة كانت قد حدثت لا تزال تمتلك احتماليّة عظيمة» [غايغر، اليهودية والإسلام، ص 45]. ثمّ راح يلتمس الأدلّة على ما ذهب إليه من رأي، وكانت عمدة أدلّته التشابه بين القرآن والكتب المقدّسة عند اليهود، سواءٌ في المفردات المستخدمة أو في الأفكار.

أما نولدكه، فيدعّي أنّ أكثر قصص الأنبياء في القرآن، بل الكثير من التعاليم والفروض، هي ذات أصل يهودي، ثمّ ضرب مثالًا لذلك وهو الشهادة المعروفة (لا إله إلّا الله) فإنّها مستقاة من عبارة يهوديّة حسب تعبيره. كما يرى أنّ تأثير الإنجيل على القرآن دون ذلك بكثير. [نولدكه، تاريخ القرآن، ص 7]

بينما كان بعضهم مقتنعًا بأنّ التأثير النصراني كان طاغيًا على محمّد ﷺ، وأنّه كان نتاجًا للتأثيرات التي تجمّعت عليه، وقد خضع محمّد للتأثير النصراني عليه منذ البداية، وطوال الفترة المكّيّة من الرسالة وما بعدها. [انظر: الشرقاوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، ص 86]

ولهذا الرأي ـ مصدرية اليهودية والمسيحية ـ مؤيّدون كُثر بين المستشرقين كلامنس[1] (Henri Lammens)، وماسيه[2] (Masse Henri) وغيرهما ممّن لا يسع المجال لذكرهم[3].

النقد

1ـ مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصّب ضد الإسلام، يفتقر افتقارًا تامًّا إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها. ويعدّ نموذجًا سيّئًا جدًّا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين. ولد في بلجيكا سنة 1862 م. وسافر إلى بيروت في صباه، وتعلّم في الكلّيّة اليسوعية ببيروت، صار معلّمًا في الكلّيّة اليسوعية ببيروت عام 1886 م، وتوفي في 23 نيسان سنة 1937 م. [انظر: موسوعة المستشرقين، ص 503]

2ـ فرنسي متخصّص في الفارسية. ولد في 1886 م، وتعلّم في المدرسة الوطنية للّغات الشرقية حيث حصل على دبلوم في العربية والفارسية والتركية، وفي 1919 م نشر رسالته الكبرى للحصول على الدكتوراه بعنوان: "بحث في سعدي الشاعر"، توفّي في 9 تشرين الثاني عام 1969 م. [انظر: موسوعة المستشرقين، ص 536]

3ـ للمزيد من الاطلاع انظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره.. دراسة ونقد، ج 1، ص 289 ـ 335.

1ـ أنّ الاستدلال بالتشابه على كون القرآن الكريم مأخوذًا من اليهودية والمسيحية غير تامّ؛ لأنّ التشابه بين الشيئين ـ أو بين الأشياء ـ كما يمكن أن يدلّ على كون أحدهما مصدرًا للآخر، فكذلك يمكن أن يدلّ على اتّحاد المصدر وحدته وهو الحقّ تعالى. فالقرآن الكريم لم يخالف الرسالات السماويّة من حيث الأصول، بل يصدّقها بمقتضى وحدة المنبع، وهذه الحقيقة ملموسة في آي القرآن: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [سورة النساء:26]. وقال ﷻ: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾ [سورة الشورى: 13]، هذا كلّه إذا لم يتمّ تحريفه في الكتاب المقدس(1).

2ـ أنّ دعوى التشابه ليست صحيحةً على إطلاقها، فجملة من قصص الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن تخالف جوهريًّا نظيراتها في الكتاب المقدّس على فرض صحّته كما يدّعون، فقد جاء في سفر التكوين أنّ حام بن نوح رأى أباه عليه السلام سكرانًا وعريانًا تُرى عورته، وأخبر إخويه حتّى ستراه برداءٍ(2). وأنّ لوطًا عليه السلام بعد هلاك قومه بعذاب إلهي صعد من صوعر وأقام في الجبل ثمّ ضاجع بنتيه بعد سكره بحيلةٍ منهما! وغيرها من أمور تقشعرّ منها الجلود(3)، بينما يتحدّث القرآن عنهم بأدب واحترام.

3ـ أنّى يكون اليهود والمسيحيون مصدرين للقرآن الكريم وهم يقولون: إنّ الله ثالث ثلاثة، وإنّ المسيح ابن الله، وإنّ عزيرًا ابن الله(4)، بينما يقول القرآن: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [سورة الاخلاص]، أَليس هذا اضطرابًا جليًّا؟!

4ـ لم يثبت وجود ترجمة لكتب اليهود والمسيحيين إلى اللغة العربية وقتئذٍ، بل الثابت هو خلاف ذلك، حيث كانت أوّل ترجمة عربية للكتاب المقدّس في زمن عمر بن سعد بن أبي وقاص، حين طلب من البطريرك اليعقوبي وضع ترجمة الإنجيل في اللغة العربية وذلك في سنة 639 م. وأمّا أول ترجمة عربية كاملة للكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد مع الكتب المضافة في التوراة السبعينيّة، فقد كان

1ـ انظر: كتاب تحت عنوان "الصحيح من إنجيل المسيح في أناجيل العهد الجديد"، لعلي الشيخ، وهو كتاب جيد في موضوعه.

2ـ الكتاب المقدّس، سفر التكوين، 9 / 20 ـ 24.

3ـ المصدر السابق، 30 ـ 38.

4ـ انظر: سورة المائدة: 73؛ سورة التوبة: 30.

ظهورها في سنة 1671 م[1]. كما أنّه لم تثبت معرفة النبيّ بلغة تلك الكتب، ودون إثبات تلقّيه تلك التعاليم شفويًا أيضًا، وبالأخصّ في القرآن المكّيّ.

5ـ أمّا ما ذهب إليه الأُسقف يوسف درّة الحدّاد[2] من الاستدلال ببعض الآيات القرآنية على كون الكتاب المقدّس مصدرًا له فهو دليل على جهله بتفسير القرآن أو تجاهل منه. قال الأسقف: «استفاد القرآن من مصادر شتّى، أهمّها: الكتاب المقدَّس، ولا سيّما كتاب موسى، وذلك بشهادة القرآن ذاته، كما في قوله: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [سورة الأعلى: 18 و19]، ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۞ أَنْ لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [سورة النجم: 36 ـ 38]، ﴿**وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ۞ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [سورة الشعراء: 196 و197].

ثمّ استرسل قائلًا: «فآية محمّد الأولى هي مطابقة قرآنه للكتب السّابقة عليه. وآيته الثانية استشهاده بعلماء بني إسرائيل، وشهادتهم له بصحّة هذه المطابقة. ولكن ما الصلة بين القرآن وكونه في زبر الأوّلين؟! هذا هو سرّ محمّد! فيكون من ثمّ أنّه نزل في زبر الأوّلين بلغة أعجميّة يجهلونها، ثمّ وصل إلى محمّد بواسطة علماء بني إسرائيل، فأنذر به محمّد بلسان عربي مبين».

وقد ردّ هذه المزاعم الشيخ معرفة بأنّ آيات سورة الأعلى إشارة إلى نصائح تقدّمت السورة وهي في قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [سورة الأعلى: 14 ـ 17]. وذلك تأكيد على أنّ ما جاء به محمّد ﷺ لم يكن بدعًا ممّا جاء به سائر الرسل: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [سورة الأحقاف: 9]. فليس الذي جاء به نبيّ الإسلام جديدًا لا سابقة له في رسالات الله ... هذا ما تعنيه الآية، لا ما زعمه صاحبنا الأسقف. وهكذا قوله تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾ [سورة النجم: 36 و37]. فإنّ الضمير يعود إلى مَنْ وقف في وجه الدعوة مستهزئًا بأنّه سوف يتحمّل آثام الآخرين إن لم يؤمنوا بهذا الحديث، فيردّ عليهم القرآن الكريم: ألم يبلغهم أنّ كلّ إنسان سوف يكافأ حسب عمله: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [سورة الأنعام: 164]. [انظر: معرفة، التميد في علوم القرآن، ج 7، ص 23 وما بعدها]

1ـ للوقوف على تفاصيل أكثر في هذا السياق، انظر: مجموعة من المؤلّفين، المرشد إلى الكتاب المقدّس، ص 79 وما بعدها.

2ـ مارس رتبة الكهنوتية في الكنيسة اللبنانية عام 1939 م، ثمّ انقطع زهاء عشرين عامًا يبحث عن شؤون الإسلام والقرآن على أسلوبه الكهنوتي، حاول التقارن والتقارب بين القرآن وكتب العهدين ليجعل الأخيرة منابع للقرآن ومصادره في كلّ ما ينسبه إلى وحي السماء، توفّي سنة 1979 م. [معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج 7، ص 23]

جـ- الاقتباس من قصائد أميّة بن أبي الصلت

من الادّعاءات في المقام زعم كليمان هوار[1] (M. Clément Huart) باقتباس بعض الآيات القرآنيّة من أشعار الشاعر الثقفي المشهور أميّة بن أبي الصلت[2]! قال نولدكه: «ينسب م. كليمان هوار (M.Clément Huart) لنفسه فضل اكتشاف مصدر جديد من مصادر القرآن في بعض قصائد أميّة بن أبي الصلت. لكن معظم المواضع التي يسوقها لدعم فرضيّته تخضع للشكّ القويّ بأنّها مزوّرة تحت تأثير القرآن. أمّا المتشابهات الأخرى فيمكن تفسيرها بأنّ أميّة نهل مثل محمّد من معين الروايات اليهودية والمسيحية» [نولدكه، تاريخ القرآن، ص 18].

وقال ساسي: «وذهب المستشرق بور (Power) مذهب هوار، حيث ذكر أنّه حيث يوجد تشابه بين شعر أميّة والقرآن، فإنّ ذلك يدلّ على أنّ الرسول أخذ من أميّة؛ لأنّه أقدم من الرسول» [ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج 1، ص 270].

النقد

هذه الفرضيّة كسابقها في البطلان؛ وذلك لأمور، منها:

1ـ أنّ صحّة أصل نسبة تلك الأشعار إلى أميّة لأمر مشكوك فيه حتّى عند بعض المستشرقين، بل استبعدوا اقتباس القرآن منها لاختلاف واضح بينهما. فقد ورد في "موجز دائرة المعارف الإسلامية": «على أنّ صحّة نسبة هذه القصائد إلى أميّة أمر مشكوك فيه، شأن أشعاره في ذلك شأن الشعر العربيّ القديم بوجه عام ... أمّا القول بأنّ محمّدًا ﷺ قد اقتبس شيئًا من قصائد أميّة فهو زعم بعيد الاحتمال، لسبب بسيط هو أنّ أميّة كان على معرفة أوسع بالأساطير التي نحن بصددها، كما كانت أساطيره تختلف في تفصيلاتها عمّا ورد في القرآن» [موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج 4، ص 1203]. وقال بروكلمان[3]

1ـ ولد في باريس سنة 1854 م، وتخرّج من مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا، مثل وزارة الخارجية في مؤتمري المستشرقين بالجزائر سنة 1905 م، آثر العلم على الوظيفة فانصرف إلى التدريس والتصنيف حتّى أصبح أستاذًا للعربية والفارسية والتركية في مدرسة اللغات الشرقية، له آثار كثيرة بين كتب ومقالات. [انظر: المستشرقون، ج 1، ص 112 ـ 216]

2ـ كان قد قرأ الكتب، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأنّ نبيًّا يبعث قد أظلّ زمانه، فلمّا سمع بخروج النبي ﷺ وقصّته، كفر حسدًا له. ولمّا أنشد رسول الله ﷺ شعره، قال: «آمن لسانه وكفر قلبه». [انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص 60]

3ـ ولد كارل في سنة 1868 م في مدينة روستوك (Rostock). التحق بجامعة روستوك في ربيع 1886 م ودرس إلى جانب

(Carl Brockelmann): «أميّة بن أبي الصلت، شاعر ثقيف، أكثر ما روى من شعره منحول عليه، ما عدا مرثيته لقتلى بدر التي منع النبيّ ﷺ من إنشادها. وزعم كليمنت هوار أنّ شعره كان من مصادر القرآن، وهذا غير صحيح، ولكن الحقّ م ذكره تور أندريه (Tor Andrae) وهو أنّ الأشعار التي نظر إليها هوار إنّما هي نظم جمع القصّاص فيه ما استخرجه المفسّرون من موّاد القصص القرآني. ولا بدّ أنّ تكون هذه الأشعار قد نحلت لأميّة في عهد مبكّر لا يتجاوز القرن الأوّل الهجري؛ لأنّ الأصمعيّ سمّاه شاعر الآخرة، كما سمّى عنترة شاعر الحرب، وعمر بن أبي ربيعة شاعر العشق» [بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 113]، وقد مرّ تعليق نولكه بعد نقل كلام هوار.

2ـ لقد ذكرت كتب التاريخ أنّ أميّة كان يخبر بأنّ نبيًّا سيخرج، وكان يأمل أن يكون هو ذلك النبيّ، فلمّا سمع بخروج النبيّ ﷺ وقصّته، كفر حسدًا له[1]. فلو كان الأمر كما يدّعي هوار ومن حذا حذوه لما بقي أميّة مكتوف الأيدي، بل لادّعى النبوّة متسلّحًا بأشعاره كمعجزة له، حيث كان يطمع فيه وحاسدًا لمحمّد ﷺ، أو لفضح أمر النبيّ ولاتّهمه بالكذب والسرقة على الأقل، ولو كان لبان!

3ـ لو سلّمنا جدلًا بصحّة نسبة تلك القصائد لأميّة، وكونها قبل بعثة رسول الله ﷺ كما نسب إلى بور، فلن نسلّم باقتباس النبيّ منها؛ إذ لا بدّ أن تكون أشعاره معروفةً ومشهورةً بين الناس وقتئذٍ كبقية الأشعار الجاهلية، فلو كان الأمر كما يدّعى لاستعان بها المشركون عند ما تحدّاهم القرآن بأن يأتوا بمثله بدلًا من سلّ السيوف.

4ـ يتّصف القرآن الكريم بصفتي الإعجاز والتحدّي، ولم نجد في تاريخ العرب الأقحاح وغير العرب من حاول مجاراته إلّا شرذمة وقد باؤوا جميعًا بالفشل الذريع، بينما لا نرى هاتين الصفتين في أشعار أميّة لو صحّت النسبة؛ فهي كغيرها من الأشعار الجاهلية. فلو تحدّى بها الناس يومًا أو ادّعى اتّصافها بالإعجاز لوصلنا ذلك كما وصلتنا أخبار أقرانه من الشعراء.

2ـ المصادر الداخلية للقرآن

بينما يدّعي بعض المستشرقين كون القرآن الكريم مأخوذًا من الكتاب المقدّس، أو من اليهود

الشرقيات اليونانية واللاتينية والتاريخ، كما درس العربية والعبرية والأرمنية، له آثار عدة لعل أهمها هو كتاب "تاريخ الأدب العربي" الذي يقع في عدة مجلدات. [انظر: موسوعة المستشرقين، ص 98ـ 105]

1ـ انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص 60.

والمسيحيّين المعاصرين للنبيّ، أو من البيئة الجاهلية الوثنية وغير ذلك كما تقدّم، ذهب بعضهم الآخر إلى اتّجاه آخر، حيث رأوا أنّ مصدر القرآن الكريم أمر داخلي، وأنّ محمّدًا ﷺ هو من ألّفه ووضعه، من هنا أطلقوا على القرآن اسم "كتاب محمّد" أو "قرآن محمّد".

ورغم اتّفاق هؤلاء على كون مصدر القرآن أمرًا داخليًّا، إلّا أنّهم اختلفوا كالعادة في بيان طريقة ذلك المصدر الداخلي المزعوم، وكلّ عباراتهم ترمي إلى إثبات "بشرية القرآن"، وفيما يلي ذكر آراء بعضهم.

أ_ القرآن تأليف محمد!

ادّعى عدد من المستشرقين أنّ محمّدًا ﷺ قام بتأليف القرآن ثمّ دعا العرب إلى اتّباعه، وليس الأمر كما يقول المسلمون، فلا وحي ولا ملك ولا غيرهما ممّا يدلّ على وحيانيّة كتاب محمّد.

يقول المستشرق الإنجليزي جورج سيل[1] (George Sale): «وممّا لا شكّ فيه، ولا ينبغي أن يختلف فيه اثنان أنّ محمّدًا هو في الحقيقة مصنّف القرآن وأوّل واضعيه، وإن كان لا يبعد أنّ غيره أعانه عليه كما اتّهمه العرب، لكنّهم لشدّة اختلافهم على تعيين الأشخاص الذين زعموا أنّهم كانوا يعينونه، وهنت حجّتهم، وعجزوا عن إثبات دعواهم، ولعلّ ذلك لأنّ محمّدًا كان أشدّ احتياطًا من أن يترك سبيلًا لكشف الأمر» [سيل، مقالة في الإسلام، ص 131].

أمّا هربرت جورج ويلز (H. G. Wells) فقد صوّر النبيّ ﷺ بأنّه رجل دفعته طموحاته ووساوسه في سنّ الكهولة إلى تأسيس دين ليُعدّ في زمرة القدّيسين، فقام بتأليف مجموعة من عقائد خرافيّة وآداب سطحيّة، ثمّ نشرها في قومه، فاتّبعها رجال منهم. [التهامي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.. القرآن والمستشرقون، ج 1، ص 31]

النقد

1_ أنّه لا دليل على أنّ القرآن من تأليف النبيّ محمّد ﷺ، بل الدليل قام على خلافه. إذ لو كان الأمر كما يقولون، فلم يكن لينتظر الوحي حين الحاجة، ولِمَ لم يأت بشيءٍ حينما انقطع الوحي لفترة غير يسيرة؟! ولماذا لم يجب على من سألوه عن قضيّة أصحاب الكهف في الوقت نفسه؟!

2_ في الحقيقة، ما هذه إلّا فريةٌ قالتها قريش قبل المستشرقين المتخبّطين، وقد ردّها القرآن الكريم

1 مستشرق إنجليزي اشتهر بترجمته للقرآن إلى الإنجليزية. ولد في لندن حوالي 1697 م، وتوفي فيها سنة 1736 م، وقد نشر ترجمته للقرآن في 1734 م، أي قبل وفاته بعامين. [انظر: موسوعة المستشرقين، ص 358 و359]

فورًا بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [سورة الفرقان: 4]. والإنصاف أنّ النظر في آي القرآن الكريم، والوقوف على تاريخ النبي الأكرم محمّد ﷺ، وملابسات نزول القرآن يكذّب هذه الفرية.

3ـ هناك فرق وتمايز واضح وجليّ بين أسلوبي القرآن والحديث النبوي من ناحية البيان والصياغة والبلاغة، وهذا دليل آخر على بطلان هذه الدعوى. وإلى هذا يشير بعض الباحثين بقوله: «إذا كان القرآن من تأليف محمّد، فحديثه الأضعف منه بلاغةً وفصاحةً وبيانا يكذّب ذلك. ولكان الأولى ألّا ينسب لنفسه حديثًا، وأن يجعل كلّ كلامه قرآنًا» [عناية غازي، شبهات حول القرآن وتفنيدها، ص 21].

4ـ لو كان القرآن من تأليف محمّد ﷺ ومن بنيّات أفكاره، لما كان العرب جميعًا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن، والوقوف أمام هذا التحدّي الصارخ، خاصّة أنّه ﷺ لم يكن قبل بعثته معروفًا في عداد بلغاء العرب وفصحائهم.

ب ـ مجرّد تأملات شخصية

لم يزل المستشرقون يشكّكون في القرآن الكريم، ويصرّون على أنّه ليس وحيًا إلهيًّا كما يدّعي المسلمون، ولا مكتسبًا من فرد أو جماعة أو بيئة معيّنة كما يدّعي بعض المستشرقين. غاية ما في الأمر أنّه فيض من خاطر محمّد ﷺ أو انطباع لإلهامه، أي أنّه ناتج من تأمّلاته الشخصيّة، وخواطره الفكريّة.

وها هو هنري لامنس يبيّن كيفيّة الوحي ذاهبًا إلى أنّه عندما بلغ ﷺ الثلاثين من عمره مرّ بأزمنة دينية خانقة، التجأ بسببها إلى الوحدة والعزلة والتأمّل، تلتها مرحلة الأحلام والرؤيا المضطربة، متقزّزًا من مادّيّة قريش ومشمئزًّا من عبادتها للأوثان. فاعتنق الوحدانية وآمن بالبعث والحساب. ووجد نفسه متّفقًا في المعتقدات مع اليهود والنصارى. واعتقد أنّه ما دام ليس هناك إلّا إله واحد، فليس هناك إلّا وحي إلهيّ واحد، على العرب ألّا يبقوا خارج هذا الإطار، واعتقد أنّه مدعوٌّ لنشر هذه الحقائق بين أبناء جلدته، وبلغتهم أيضًا. [ساسي سالم الحاج، نقد الخطابي الاستشراقي، ج 1، ص 270]

النقد

1ـ لا يخفى على من له مقدار شعرة من العلم بالقرآن الكريم ولم يعميه التعصّب، أنّ عمق القرآن وشموليته وجزالته ودقّته الفائقة وهيمنته، وكذلك الاخلاف الواضح بين القرآن وبين الروايات الشريفة الصادرة عن النبيّ، كلّ ذلك يأبى أن يكون مصدر القرآن الكريم هو ما يسمّيه المستشرقون بالوحي النفسي.

2ـ القرآن الكريم نفسه يدلّ في آيات كثيرة على وجود انفصال بين الموحي والموحى إليه، ومن تلك

الآيات على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة الأنعام: 44].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة هود: 49].

3ـ هناك آيات كثيرة تخاطب النبيّ ﷺ ظاهرها العتاب بل والإنذار الشديد في بعض الأحيان، كقوله تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة التوبة: 43]. وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 73 ـ 75]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [سورة الحاقة: 44 ـ 47]. فهل يعقل أن يقسو شخص على نفسه إلى هذا الحدّ؟! ثمّ ولمَ لم نر في تاريخ البشرية مثل النبيّ ولو نموذجًا واحدًا؟!

جـ الحالة العصبية والمرضية الهيستيرية[1]

وقف بعض المستشرقين على ما ذكرته بعض مصادر المسلمين من حالات كانت تعتري النبيّ محمّدًا ﷺ عند نزول بعض الآيات القرآنيّة[2]، وقد اتّخذوا هذه الأخبار فرصةً ذهبيةً حيث صوّروا النبيّ كرجل مصاب بأمراض نفسية وعقلية؛ طعنا في شخصية الرسول وانتقاصًا من القرآن الكريم، ولهذه الفرية إشارات واضحة في طيّات كلماتهم.

فها هو جولدزيهر يصوّر حالة النبيّ ﷺ في ما يسمّيه من النصف الأوّل من حياته قائلًا: «وفي خلال النصف الأوّل من حياته اضطرّته مشاغله إلى الاتّصال بأوساط استقى منها أفكارًا أخذ يجترّها في قرارة

---

1 الهستريا (Hysteria): مرض من الأمراض العصبية الشائعة، ويشبه مرض الصرع ولكن يختلف عن حالات الصرع؛ لأن الصرع أساسه عضوي، ولكن التشنّجات الهستيرية ترجع لأسباب نفسية كالغضب أو الانفعال الشديد [انظر: العيسوي، علم النفس العامّ، 202 ـ 206].

2 منها: ما روي «عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه عليّ. فيفصم عنّي، وقد وعيت ما قال. وأحيانًا يتمثّل لي الملك رجلًا، فيكلّمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرقًا» [ابن عبد البرّ، التمهيد لما في الموطّإ من المعاني والأسانيد، ج 22، ص 112].

نفسه، وهو منطوٍ في تأمّلاته أثناء عزلته. ولميل إدراكه وشعوره للتأمّلات المجرّدة والتي يلمح فيها أثر حالته المرضيّة، نراه ينساق ضدّ العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين» [جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 13].

كما نرى نولدكه يتحدّث عن هذه الظاهرة بشكل مفرط، فقيول بعد كلام طويل يصف فيها تلك الحالة: «وبما أنّ الغيبوبة كانت على الأرجح تعتريه فجأةً، حين كان غارقًا في تفكير عميق، فقد اعتقد أنّ قوّةً إلهيةً كانت تحلّ فيه. لكن سبق أن رأينا، لم يكن الوحي يتّضح له إلّا بعد أن يفارقه الملك، أي بعد عودته إلى وعيه الكامل إثر اضطراب شديد ... هذا الوضع الجسدي والنفسي المضطرب يفسّر الأحلام والرؤى التي رفعته فوق مستوى العلاقات البشرية المعتادة. ولعلّ أشهر ما يذكر في هذا الصدد الإسراء والمعراج، الذي كان مجرّد حلم، كما سنبرهن أدناه. وخير ما يشهد عمومًا على صحّة الأخبار حول هذا الوجد النفسي هي المقاطع القرآنية الغريبة الساحرة التي نطق بها محمّد بشكل خاصّ في السنوات الأولى من نبوّته.

ولا يجوز أن نغفل عن أنّ معظم الوحي حدث ليلًا كما يبدو، حين تكون النفس أكثر قابليةً لاستقبال التخيّلات والانطباعات النفسية عمّا هو عليه في وضح النهار» [نولدكه تاريخ القرآن، ص 20 ـ 25].

وهكذا نجد درمنغم[1] (E. Dermenghem) يوهم بأنّ النبيّ ﷺ كان يعاني من اضطراب نفسي منذ صغره إلّا أنّ ذلك وصل ذروته عند بعثته، حيث قال: «فلمّا كانت سنة 610 كان الاضطراب النفسي الذي يعانيه محمّد على أشّده» [درمنغم، الشخصية المحمدية.. السيرة والمسيرة، ص 75].

النقد

لا شكّ أنّ هذه المحاولات ليس إلّا محض تهم وافتراء، ولا أساس لها من الصحّة؛ ذلك لأمور:

1ـ لو سلّمنا بصحّة هذه الأخبار، فإنّها لا تدلّ على ما استنتجه المستشرقون وذلك بشهادة الواقع القرآني والمسلّمات التاريخيّة؛ إذ كيف يمكن أن يأتي شخص بهذه الصفات المرضيّة العقليّة بكتاب عجز أصحّ الأصحّاء وفطاحل العلماء عن الإتيان بما يشبه ولو سورة قصيرة؟! أضف إلى ذلك أنّ القرآن يشتمل على حقائق علمية ثابتة ليس باستطاعة أحد ـ مهما بلغ من العلم ـ أن يعلمه إلّا بإخبار من العالم المطلق.

1ـ من آثاره: "حياة محمد" وهو خير ما صنّفه مستشرق عن النبيّ، ويرجع إليه علماء المسلمين، وقد نقله إلى العربية الأستاذ عادل زعيتر، ومن آثاره "محمّد والسنّة الإسلامية" (باريس 1955)، وغيرها. [المستشرقون، ج 1، ص 348]

2ـ نفس القرآن الكريم يكذّب هذا الادّعاء، فهناك آيات كثيرة تصف النبيّ ﷺ بأرقى الصفات تناقض تمامًا ما قالوه من أنّه كان عصبيّ المزاج. ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [سورة آل عمران: 159]، وقوله: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [سورة التوبة: 128]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [سورة القلم: 4]، وغير ذلك.

3ـ أنّ الوقوف على تاريخ النبيّ ﷺ قبل البعثة وبعدها، يكفي لتكذيب هذا الادّعاء، فلم يعرف منه غير الخلق الحسن حتّى مع ألدّ الخصام. وكما أفاد الزرقاني من أنّ هذه فرية تدلّ على جهلهم الفاضح بمحمّد فالمعروف عنه بشهادة التاريخ الصحيح والأدلّة القاطعة أنّه كان وديعًا صبورًا حليمًا، بل كان عظيم الصبر واسع الحلم فسيح الصدر، حتّى أنّه وسع الناس جميعًا ببسطه وخلقه. [انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 1، ص 59]

4ـ ما هذا إلّا شعار ردّده مشركو قريش وكفّار الجزيرة العربيّة من قبل، فقد قالوا على وجه الاستهزاء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾ [سورة الحجر: 6]، وجاء ردّ القرآن على هذا الشعار الباطل: ﴿**فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ**﴾ [سورة الطور: 29]، ﴿**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**﴾ [سورة القلم: 2]، وقد تلقّفه المستشرقون وصاغوه صياغاتٍ جديدةً متنوّعةً والغاية واحدة.

5ـ من الغريب أن يحاول نولدكه الاستدلال على مذهبه بوجود مقاطع غريبة وساحرة في القرآن، ولا أدري أين هذه الغرابة! أمّا ادّعاؤه بأنّ معظم الوحي حدث ليلًا، فلا دليل عليه أبدًا.

والحاصل أنّ هذا الادّعاء لا يستحقّ الوقوف طويلًا، وقد نقل رضوان عن بعض المستشرقين: أنّ محمّدًا ﷺ كان على أتمّ الاعتدال في مزاجه. وأنّه ليس في تاريخ حياته من أوّله إلى آخره شيء يدلّ على كونه مصابًا بمرض عصبي، كما أنّ ما جاء به فيما بعد من أمور التشريع والإدارة يناقض هذا القول. وإنّ غاية ما يقدرون أن يجزموا به هو تبرئة محمّد ﷺ من الكذب والمرض. [انظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره.. دراسة ونقد، ج 1، ص 403]، وهذا يكفي في إبطال هذا الافتراض.

هذه نماذج قليلة من الشبهات الكثيرة التي أثارها المستشرقون حول القرآن الكريم ومصدره، وهي كما ترى ليست إلّا مجرّد افتراضات لا دليل عليها لا ثبوتًا ولا إثباتًا. وقد اقتصرنا على هذه الآراء دون غيرها مراعاةً لحجم البحث، ولأنّ تلك تلك الآراء ـ من وجهة نظري ـ واضحة البطلان لمن له الحدّ الأدنى من الإنصاف.

الخاتمة

بعد جولة سريعة في كتابات المستشرقين وما نقل عنهم في آرائهم حول مصدر القرآن الكريم، توصّلنا إلى أمور تبيّن يمكن تلخيصها في ما يلي:

1ـ أنّ مصطلح "الاستشراق" مصطلح جديد؛ لذا قد لا نجده في المعاجم اللغوية القديمة الأصلية، كما أنّ هناك اختلافًا شديدًا في تحديد المراد منه، وتبعًا لذلك اختُلف في معنى "المستشرق"، وهكذا الأمر في تحديد تاريخ الاستشراق.

2ـ ركّز المستشرقون على القرآن الكريم علمًا منهم بأنّ القضاء عليه ـ فرضًا ـ يعني القضاء على شخصية النبيّ ﷺ بل على الإسلام برمّته.

3ـ تناقضت كلمات المستشرقين، وتباينت آراؤهم وهم في محاولة إثبات وجود مصادر أخرى غير الله تعالى، وهذا بحدّ ذاته إشارة إلى تخبّطهم في المقام.

4ـ أنّ الناظر في منهج المستشرقين يدرك أنّ منطلق كثير من استدلالاتهم هو الحسد والهوى وردود الأفعال، وأنّ أكثرهم لم يكونوا منصفين في أبحاثهم ودراساتهم القرآنيّة، كما أنّ بعضهم لم يكونوا متضلّعين في تفسير القرآن الكريم.

5ـ لم يكونوا بدعًا في القول بعدم وحيانيّة القرآن، بل قد سبقهم في ذلك أسلافهم من مشركي قريش، وبعض أهل الكتاب، وقد ردّ القرآن كلّ تلك الادّعاءات بأدلّة عقليّة وبراهن واضحة.

6ـ أنّ دعوى كون الكتاب المقدّس أو اليهودية والمسيحية مصدرًا للقرآن أمر باطل، لا يدعمه دليل معتبر، بل يكذّبه الواقع.

7ـ أنّ الادّعاء بمعاناة النبيّ ﷺ من أمراض نفسية وعقلية لأكثر سخافة من جميع الادّعاءات، وأبعدها عن العقل السليم.

أخيرًا، أتمنّى من الباحثين والمهتمّين بالدراسات القرآنية الاهتمام بهذه الموضوعات وبيان الحقيقة فيها، لما لها من آثار سلبية أثّرت في فكر بعض الباحثين الإسلاميين وخاصّةً الحداثيين.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

ابن عبدالبر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطّإ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387 هـ.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعئ الثانية، 1992 م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988 م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ.

بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993 م.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

البهي، محمد، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة العاشرة.

تسدل، سان كلير، المصادر الأصلية للقرآن، ترجمة: عادل جاسم، منشورات الجمل، بغداد، الطبعة الأولى، 2019 م.

جمال، أحمد محمد، مفتريات على الإسلام، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1975 م.

جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، الطبعة الرابعة، 2001 م.

جولدتسيهر، إيجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام.. تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، ترجمة: محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013 م.

جولدتسيهر، إيجناس، مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013 م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح.. تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1376 هـ.

الحكيم، محمدباقر، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، قم، الطبعة الرابعة، 1419 هـ.

درمنغم، أميل، الشخصية المحمدية.. السيرة والمسيرة، ترجمة: عادل زعتر، الشعاع للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثالثة، 2005 م.

رضوان، عمر، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم و تفسيره.. دراسة ونقد، دار الطيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1413 هـ.

الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر،

بيروت، الطبعة الأولى، 1996 م.

الزيادي، محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله.. دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، الطبعة الأولى، 1426 هـ.

سال، جورجس، مقالة في الإسلام، ترجمة: هاشم العربي، المطبعة الإنكليزية الأميركانية، مصر، الطبعة الثالثة.

سالم الحاج، ساسي، نقد الخطابي الاستشراقي.. الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002 م.

السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون.. ما لهم وما عليهم، دار الوراق، المكتب الإسلامي.

السبحاني، جعفر، الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، الطبعة الثالثة، 1412 هـ.

سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998 م.

الشرقاوي، محمد عبد الله، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر.. دراسة تحليلية تقويمية، دار الفكر العربي، القاهرة.

الطيبي، الحسين بن عبد الله، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، 1997 م.

العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2006 م.

عناية، غازي، شبهات حول القرآن وتفنيدها، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1996 م.

العيسوي، عبد الرحمن، علم النفس العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 م.

غايغر، أبراهام، اليهودية والإسلام، ترجمة: نبيل فياض، دار الرافدين، بيروت، الطبعة الأولى، 2018 م.

الفاسي المكي، محمد بن أحمد، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001 م.

فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية.. نقد مطاعن ورد شبهات، دار البشير للتوزيع والنشر، عمان، الطبعة الثانية، 1989 م.

قدور تاج، محمد، الاستشراق.. ماهيته، فلسفته ومناهجه، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2014 م.

الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة.

مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الطبعة الأولى، 1998 م.

مجموعة من الؤلفين، المرشد إلى الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، الطبعة الثانية، 2000 م.

معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة التمهيد، إيران، الطبعة الأولى، 2007 م.

مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

نقرة، التهامي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.. القرآن والمستشرقون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس، 1985 م.

نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، تعديل: فريديريش شفالي، دار نشر جورج ألمز، نيويورك، 2000 م.

يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004 م.